

متماسكا استندت اليه دعوة الحق، واحتتمى به الإسلام وهو ناشئ غض، حتى جاء نصر اﷺ والفتح، ودخل الناس في دين اﷺ أفواجا، وقد امتن اﷺ بذلك على رسوله وعلى المؤمنين فقال (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن اﷺ ألف بينهم إنه عزيز حكيم) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا اﷺ حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل اﷺ جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة اﷺ عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين اﷺ لكم آياته لعلكم تهتدون).

فلما اختار اﷺ رسوله الى جواره سار أصحابه - عليهم رضوان اﷺ - في طريقه، غير أن الزمان عاجلهم ببعض المشكلات فاختلفوا عليها، وكان خلافهم في دائرة الحق والمصلحة كما يعتقد كل منهم، ثم انقضت الحقبة الأولى من عمر الدولة الإسلامية، بعد أن تركت في جسم الأمة جراحا عميقة كان من سوء الحظ أنها لم تجد أساة معالجين، بل وجدت من لا يزال ينكؤها ويحييها ويحتفظ بها خضراء كما يعبر أدباء الغرب، وفعلت السياسة فعلها، وعادت العصبية إلى سابق عهدها، فتعددت الأحزاب والفرق والطوائف، وكثرت الخلافات المسائل الجدلية، وترامى المسلمون بالتهم، وساءت بينهم الطنون، ومشى كل فريق في طريق فضلت بهم السبل عن الطريق السوي، وذاق بعضهم بأس بعض، وتمكن منهم أعداؤهم، فدسوا لهم في السياسة، ودسوا لهم في التاريخ، ودسوا لهم في العلم والرواية، ودسوا لهم في النظريات الفلسفية، والقضايا الغيبية، وفتحوا لهم آفاق الشك والريب فيما لديهم، وشغلهم بالجدل والخصام حتى أنهكوا قواهم، وأوهنوا عقولهم، وحطّوا أعصابهم، وأفقدوهم الثقة بأنفسهم، والتعويل على مواهبهم، ثم اقتطعوا أوطانهم قطعة بعد قطعة، واقتسموها فيما بينهم غنائم باردة، في صورة الاستعمار أحيانا، والحماية أحيانا، والوصاية أحيانا، ومناطق النفوذ أحيانا، فتح الأسواق أحيانا، وهكذا من كل ما برّس به الغاصبون غصبهم، وجعلوه ستارا على مطامعهم وشهواتهم.